تتجاهل ـــ اختلاف الظروف وتغيير المواقع ، وبالذات فيما يخص الولايات المتحدة ، التي كانت تتطلع الى ضربة قاضية خاطفة تذهب بالنظام الناصري عام ١٩٥٦ . ولعل في هذا ما يفسر اقدام الولايات المتحدة على مطالبة حليفاتها ـــ بريطانيا وفرنسا واسرائيل ـــ بالانسحاب ، عقب فشلهم في اسقاط عبد الناصر . كما ان موقف الولايات المتحدة هذا جاء منعا لاتساع شعبية الاتحاد السوفياتي في الوطن العربي ، خاصة بعد موقفه الحازم من العدوان المذكور ،وبعد توجيهه انذاره الشهير بضرب لندن وباريس بالصواريخ في حالة عدم انسحاب قوات المعتدين من قناة السويس . اما اليوم فان عدوان ١٩٦٧ من صنع الولايات المتحدة نفسها ، بل ان الانتصار الاسرائيلي في هذا العدوان قد تم صنعه في الولايات المتحدة ، على حد تعبير مندوب صحيفة دافار الاسرائيلية في واشنطن غداة العدوان المشار اليه . ومن جهة اخرى فان اسرائيل التي كانت مجرد تابع لقوات بريطانيا وفرنسا في عدوان ١٩٥٦ ، مما اضطرها للانسحاب في أعقاب انسحاب القوات البريطانية والفرنسية ، قوات اسرائيل هي اليوم التي قامت بالعدوان بنفسها ، دون تدخل مباشر من قوات استعمارية اخرى . كما ان اسرائيل لم تعد مجرد عميلة للاستعمار ، اذ اصبح لها أطماعها الخاصة ، بعد ان استكملت دورتها واكتملت ملامحها كدولة استعمارية .ويفسر احسان عبد القدوس هذا الميل لدى بعض أجنحة البورجوازية الوطنية العربية ، فيقول بأن « قرار انسحاب القوات المصرية من سيناء عقب الضربة الاولى ، كان قرار يغلب فيه التقدير السياسي على التقدير العسكري ، فقد اتخذ هذا القرار تكرارا لقرار الانسحاب الذي اتخذ عام ١٩٥٦ ، خلال معركة الاعتداء الثلاثي ، وعلى أمل ان تحل القضية حلا سياسيا كما حدث عام ٥٦ ، ولكن الذي حدث عام ٥٦ لم يتكرر عام ٦٧ ، وكانت النتيجة ـــ نتيجة الخطأ في التقدير السياسي ـــ ان بقيت الارض العربية تحت الاحتلال الاسرائيلي حتى اليوم »(٧).

وما فتئت هذه الاجنحة الوطنية تمني النفس بحل على غرار الحل الفيتنامي ، ولكن بدون اراقة دماء ، اي بعد انتزاع جانبه الكفاحي ، متوهمة بأن حل المشكلة الفيتنامية انما أتى كنتاج للتفاوض الفيتنامي ـــ الامريكي في باريس ، ولاتفاق نيكسون وبريجنيف في موسكو . والكتاب البورجوازيون هنا يتعمدون اغفال نضال وتضحيات الشعب الفيتنامي التي فاقت كل تصور . وعلى سبيل المثال ، فقد كتب أحد هؤلاء الكتاب يقول عن انسحاب أمريكا من فيتنام « ... رغم أنه تم تحت ضغط تجمعات شعبية داخل أمريكا وخارجها، الا انه لم يتحقق الا بالاتفاق مع الاتحاد السوفياتي ، وهو الاتفاق الذي يعتبر الاساس الذي تقوم عليه اليوم سياسة الاعتماد المتبادل بين الدولتين . وهو ما يؤكد أن الولايات المتحدة اضطرت هي ايضا الى اتخاذ مواقف يمكن ان توصف بالتساهل ، او الاغضاء ، او التجاهل، او الضعف، للوصول الى التعامل المباشر مع الاتحاد السوفياتي »(٨).

ماذ عن المستقبل ؟

لقد وضح ان الاتحاد السوفياتي لم يفرط في حقوقنا ، ولا تزال مساعدته تمدنا بأسباب الصمود . بل أن مؤشر مؤازرة الاتحاد السوفياتي للمقاومة الفلسطينية سجل ارتفاعا ملحوظا في الاشهر القليلة الماضية ، ماديا ومعنويا ، وفي هذا الصدد نكتفي بالاشارة الى المناشدة التي ارسلها مجلس السوفيات الاعلى للملك حسين للحفاظ على حياة ابي داوود ورفاقه . وما يلفت النظر هنا ان هذا العمل هو الثاني من نوعه من جانب هذا المجلس منذ انشائه ، اي منذ اكثر من نصف قرن !

كما عبر البيان المشترك الصادر عن محادثات بريجنيف ـــ نيكسون الاخيرة عن اختلاف وجهتي النظر السوفيتية والامريكية فيما يخص الشرق الاوسط وتمسك كل طرف بوجهة نظره ، وأكد البيان بقاء السوفيات على مواقعهم القديمة بالنسبة لتأييدهم للحق العربي .